## قرطاجة

(تتمة ما سبق)

على ان هذا كلهُ لم يزد انيبال الاحماسةً وثباتاً فانصرف الى اصلاح خلل الحكومة والعمل على تكثير الموارد المالية ليتخذ منها عُدّةً على استئناف الحرب فلم يلبث ان ازداد دخل الدولة وقامت بأداء تلك الغرامة الفادحة في مدة عشر سنوات . فهال رومية ما رأتهُ من تلك النهضة السريعة وعادت تطالب من قرطاجة تسليم انيبال اليها ففرّ من وجهها وقصد انطيوخس الكبير في أَفَسُس واستعداهُ على رومية فوعدهُ ولكنهُ لم يلبث ان نكل عن وعدهِ . وفي تضاعيف ذلك اشتبك انطيوخس في حربٍ مع رومية كانت الدائرة فيها عليهِ فكان من جملة شروط الصلح ان يسلّم اليها انيبال فتحوّل انيبال الى كريت ثم الى بيثينيا فارسلت رومية تطلبهُ من پروسياس ملكها فلم يسعهُ الخلاف ولما علم انيبال بذلك شرب من سمٍّ كان معهُ فمات ولهُ من العمر اربع وستون سنة

وكانت رومية لا تزال تحذر جانب قرطاجة فكان من همّها ان لا تترك وسيلةً لارغامها واذلال شوكتها . وكان على نوميديا ملكٌ يقال لهُ ماسيسينا وهو شيخٌ كبير كان يضمر للقرطاجيين اشدّ العداوة فجعل يدسّ الشحناء بين قرطاجة ورومية ويكيد لها المكايد ثم اخذ يقتطع من املاكها المدينة بعد المدينة والايالة بعد اختها لعلمهِ بانها لا تستطيع مناهضتهُ لان شروط الصلح مع رومية قد غلّت يدها عن ذلك . فرفعت قرطاجة ظُلامتها

الى رومية فتثاقلت عن اجابتها وجعلت تطاولها في الامر الى ان اسرف ماسيسينا في الاستطالة والبغي ولما لجّت في الشكوى انفذت اليها سفراء ينظرون بينها وبينهُ وزوّدتهم بما شاءت من اوامرها فلم ينصفوها . وازدادت وطأة النوميديين شدّةً على القرطاجيين حتى ضايقوهم اشد المضايقة ولم يبقَ في وسعهم الاركوب الحرب فحصرهم ماسيسينا واهلك منهم نحو ستين الف رجل بالسيف والجوع . وكانت رومية تتوقع سبباً للايقاع بقرطاجة فاتخذت هذه الحرب حجةً عليهم لان فيها نقضاً لاحد شروط الصلح وسيّرت اليهم جيشاً كثيفاً يتألف من ثمانين الف راجل واربعة آلاف فارس تحت امرة ثلاثة من القوّاد امرتهم ان يضرموا الحرب على المدينة ولا يرجعوا عنها حتى يتركوها قاعاً صفصفاً . وايقن القرطاجيون انهم لا طاقة لهم بهذا الجيش فانفذوا وفداً من قِبَلهم الى القوّاد يطلبون المتاركة ويضمنون لهم الرضى بكل ما تقضي بهِ رومية بشرط ان تُبقي على المدينة فوعدهم القواد بذلك على ان يسلموا اليهم ثلاث مئة رهينة من اشرف أُسَرهم ضمانةً على القيام بكل ما سيتقاضونهُ من المطالب

فعَظُمَ هذا الطلب على القرطاجيين ولكنهم لم يجدوا بدًّا من الاجابة اليهِ وكتم القوّاد شروط المتاركة الى مابعد وصول الرهائن اليهم واخذوا بعد ذلك يتقاضونهم تلك الشروط واحداً بعد واحد بحيث انهم كلما انفذوا شرطاً عرضوا عليهم غيرهُ لانهم خافوا ان عرضوا عليهم الشروط كلها دفعةً واحدة ان يثوروا ثورة اليأس . فطلبوا اولاً ان يجهزوا لهم ما يكفي الجيش من الحبوب ثم ان يسلموا جميع ما بقي عندهم من السفن ثم جميع ذخائر الحرب واخيراً ما كل

عندهم من السلاح وكان ما سُلّم اليهم مئتي الف شِكّة وهي السلاح الكامل

ولما اصبح القرطاجيون مجردين من كل سلاح ولم تبقَ لهم قوةٌ على المقاومة اعلنوا لهم الامر بتدمير المدينة وان يخرج السكان الى مسافة ثلاثة اميال من البحر. فلما سمع القرطاجيون ذلك وقع عليهم وقوع الصواعق وصمموا على الدفاع ولو هلكوا عن بكرة ابيهم فجمعوا كل ما بقي في المدينة من المعادن وضربوهُ سلاحاً وكانوا كل يوم يصنعون مئة ترس وثلاث مئة سيف وخمس مئة رمح والف حربة وانتزعوا جوائز البيوت فبنوا منها سفناً وكانت النسآء تجزّ شعرها ليُفتل حبالاً ثم هبوا تحت قيادة اسدروبال فكسروا جيش الرومان واحرقوا اسطولهم. واجتهد الرومان في هدم اسوار قرطاجة بكل ما استطاعوا من فنون الحصار حتى ذكر ابيانوس انهم اتخذوا لهدم السور كبشين هائلين كان كلٌّ منهما يدفعهُ ستة آلاف رجل فتمكنوا من فتح ثغرةٍ في السور فخرج القرطاجيون من هذه الثغرة واحرقوا آلات الحصار ودحروا جيش الرومان الى اوتيكا

واذ ذاك ارسلت رومية اميليانوس احد كبرآء قوّادها فانجد جيش الرومان واستولى على القسم الاسفل من قرطاجة المعروف بالمغارة ثم احتفر خندقاً عظيماً قطع بهِ البرزخ الذي يصل بين المدينة وسائر البرّ ليمنع وصول المدد اليها وكان عرض هذا البرزخ نحو ٤٦٠٠ متر وبنى سدًّا دون الفرضة البحرية عرضهُ من قاعدتهِ ٩٦ قدماً ومن قمتهِ ٢٤ قدماً ولا تزال بقايا هذا البنآء الهائل ماثلةً الى اليوم فقطع عنهم المدد من البحر ايضاً. فلما رأى القرطاجيون ذلك بذلوا اقصى ما بقي لهم من القوة فشرع الرجال والنسآء

والاولاد يتقبون في الصخر حتى فتحوا لهم منفذاً الى شاطئ البحر ثم انزلوا اسطولاً مؤلفاً من مئة بارجة ضربوا بهِ اسطول الرومان ونزل اناسٌ منهم فسبحوا في البحر الى الجهة التي كانت فيها آلات الحصار ثم خرجوا بغتةً من المآء ووضعوا النار في تلك الآلات ففرّ جيش الرومان مذعورين ولحقوا بمعسكرهم

وبعد ذلك جمع الرومان بأسهم وعادوا الى حصار المدينة ونصبوا السلالم على الاسوار فتسلقوها وانتشروا في المدينة وكان اهلها قد خارت قواهم من الجوع فلم يستطيعوا مقاومتهم وما خيم الليل حتى كانوا جيشاً عظيماً في وسطها وهجموا على القلعة وهي في اعلى المدينة فبلغوها وثباً عن سطوح المنازل واعملوا الآلات في نقب سورها حتى اذا كادوا يفرغون من العمل خرج اليهم جماعةٌ ممن كانوا في هيكل اسكولاپ وهو اشمون يعرضون عليهم التسليم وكان هناك خمسون الفاً بين رجال ونسآء واولاد فتتابعوا الى معسكر الرومان خاضعين . ودخل اسدروبال وجماعتهُ الهيكل المذكور وكانوا تسع مئة نفس فابوا التسليم ولبثوا على المقاومة اياماً ثم ادرك اسدروبال الفشل والحرص على الحياة فتركهم على حين غِرّة ونزل الى معسكر الرومان وفي يدهِ غصن من الزيتون . فلما علم اصحابهُ بذلك اضرموا النار في الهيكل ولبست زوجة اسدروبال انفر حللها واخذت بيدي ولديها والقت بنفسها في النار بعد ان لعنت زوجها ولعنت الرومان واقتدى بها سائر من كان هناك من المقاتلة فاحترقوا عن آخرهم ولبثوا مدفونين تحت انقاض الهيكل . ودار القتل والنهب والحريق في المدينة فاستمرّت النار تعمل فيها مدة سبعة ايام وكان

في المدينة سبع مئة الف نفس فذهبوا كلهم بين السيف والنار ومن بقي منهم حيًّا من الاطفال والنسآء والشيوخ جرَّهُ الجند بالكلاليب فدفنوهُ حيًّا مع القتلى تحت انقاض المدينة ولاتزال الى الآن طبقةٌ من الرماد والحجارة السوداء والخشب المتفحم والمعادن التي سبكتها النار والعظام المتكلسة الى عمق خمسة اوستة امتار عن وجه الارض وكلها شاهدة بما كان من فظاعة ذلك التدمير الوحشي . فاصبحت المدينة باسرها رجمة من الحجارة والحُمَم ولم يبقَ قائماً منها سوى بعض الارباض فوجّه مجلس الشيوخ برومية لجنةً من قِبَلِهِ للاجهاز على كل ما بقي من المدينة من منازل وهياكل واسوار فدُكّ كل ذلك الى الارض وعادت تلك المدينة الغنّآء بل الجمهورية الزاهرة كأن لم يسبق بها عهد وكان ذلك سنة ١٤٦ قبل الميلاد

## اعمار السمك

ما زالت معرفة اعمار السمك ومبلغ قوة النموّ فيهِ من الامور الغامضة على علمآء الحيوان لصعوبة مراقبتهِ وتتبع احوالهِ في المواضع التي يعيش فيها ولذلك لم يكادوا يخرجون فيهِ عن حد القياس النظري. وقد ذهب بعضهم الى انهُ لما كان دمهُ بارداً لبرودة البيئة التي يعيش فيها وباعتبار ما خُصَّ بهِ من التركيب العُضويّ بحيث لايفقد شيئاً من جواهر بنيتهِ بالتنفس لابّد ان يكون اطول حياةً من ذوات الدم الحارّ من الحيوان . ومن المعلوم ان دورة الدم في الزحافات والاسماك ابطأ منها في ذوات الثُدي والطير فيلزم عن ذلك ان تكون اعضآؤها الحيوية اضعف عملاً ولهذا فانها تستطيع ان تستغني عن